الإنسي

ماجد

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

CB
892.78
M23hA
C.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

هاجر

AUB faculty or AUB related publication

رواية تمثيلية مؤثرة يحلل بها واضعها الاستاذ انيس المقدسي ما ذكرته الاسفار المقدسة من حديث سارة زوجة ابراهيم الخليل وكيف انتهت بها الغيرة الى طرد جاريتها وابنها اسماعيل ونجاتهما العجيبة في الصحراء تحليلاً خيالياً يجمع بين التاريخ والادب الحديث

اشخاص الرواية

هاجر — الجارية المصرية التي ولدت لابراهيم اسماعيل

سارة — امرأة ابراهيم وام اسحق

ابراهيم —

اليعازر — خادم ابراهيم والقيّم على منزله

اسماعيل — ابن هاجر

اسحق — ابن سارة

بدوي —

49286

الفصل الاول

اسحق واسماعيل يلعبان خارج الخباء ويتحدثان

اسماعيل — (بيده حجر) قف · قف يا اسحق · لا تُبدِ حركة · اني سأرمي لك هذا العصفور الواقف على غصن النخلة · لا تتكلم لئلا يطير · (يقترب رويداً رويداً من العصفور) ويرميه بالحجر ويصيح وقع · وقع · (يركض ويقبض عليه)

انظر ما اجمله يا اسحق

اسحق — انه جميل جداً · ولكنه ليس اجمل من الذي اصطاده لي العم اليعازر امس من سياج حقل المكفيلة

اسماعيل — العم اليعازر ؟ انك مخطىء يا اخي · انا الذي اصطدته وارسلته اليك

اسحق — انت ؟ اني اخذت العصفور من والدتي وهي قالت لي ان العم اليعازر صاده لي ·

اسماعيل — ذلك غلط يا اخي

اسحق — اسماعيل · اصحيح انت اخي ؟

اسماعيل — نعم الا تعرف ذلك

اسحق — ولكن والدتي قالت انه ليس لي اخ

اسماعيل — عجباً · ووالدتي تقول انك اخي وانه يجب ان احبك واعتني بك · ها والدتي — (يركض نحوها) اماه · أليس اسحق اخي

هاجر — نعم يا حبيبي اسحق اخوك . فأحبّه واعتني به وانت يا اسحق احب اخاك اسماعيل والاله يهوه يظللكما ويحميكما من كل مكروه (تخرج) (يبقى الغلامان)

اسماعيل — ارأيت يا اسحق . ألم اقل لك انك اخي . فانا احبك . وانت الا تحبني

اسحق — نعم ولكن . . .

اسماعيل — ولكن ماذا ؟

اسحق — والدتي امرتني ان لا ألعب معك كثيراً

اسماعيل — اصحيح ؟ ولماذا ؟

اسحق — لا ادري : ولكنني قلت لها اني لا احب ان العب مع سواك وصرت ابكي فقبلتني وقالت لا بأس ولكن لا تبتعد عن خبائي

اسماعيل — امك تحبك كثيراً يا اسحق ولكنها تخاف عليك اكثر من اللازم اتخاف انت مثلها ؟

اسحق — لا . لا اخاف اذا كنت معك

اسماعيل — اذن فهلمّ بنا الى النبع الصغير عند البلوطه الكبيرة فنلعب هناك ونتسلق الاشجار

اسحق — اخاف من والدتي ان تغتاظ

اسماعيل — نذهب ونرجع حالاً والمحل قريب . تعال يا اسحق . لا تخف انت معي . تعال (يخرجان)

ساره وهاجر

تدخل ساره بعد خروج الوالدين وحدها وتقول

اين اسحق ؟ اني لا اراه قريباً من خبائي . الى اين ذهب يا ترى ؟ ألم أوصهِ ان لا يبتعد عن هذا المكان

(الى هاجر وقد ظهرت) هل رأيت اسحق

هاجر — نعم يا مولاتي . رأيته ذاهباً مع اخيه اسماعيل نحو النبع

ساره (بغيظ) مع اخيه ! ألم أنهكِ عن مثل هذا الكلام ايتها الأمةُ الناكرة الجميل . انسيتِ أنك جارية في هذا المكان وان اسماعيل عبد لاسحق لا اخوه !

هاجر — مولاتي . رفقاً بي . بل رفقاً باسماعيل انه صغيرٌ لا يدري . انا امةٌ لكِ يا سيدتي فافعلي بي ما تشائين . اما اسماعيل فانه ابن سيدي ابراهيم فاشفقي عليه واعطفي على صباه . واذكري انَّ ابراهيم يحبه كما يحب اسحق

ساره — كذبتِ . ان ابراهيم لا يحب غلاماً كما يحب ولده اسحق او بلغ بك الغرور ان تطلبي من ابراهيم ان يساوي عبده وابن امته بولدي اسحق اسحق ابن الموعد ! اسحق ابني ويتساوى باسماعيل !

هاجر — مولاتي !

سارة — مولاتك ؟ وتطلبين ان يكون ابنك كأبني . انا الملومة . نعم انا الملومة . انا الملومة !

هاجر — بربك يا مولاتي ارحمي هذا القلب الوالدي . ان يهوه قد فضَّلك عليَّ بكل شيء . فما انا الا جاريتك المطيعة ولكن اسماعيل ما ذنبه ؟

انه غلام يجري في عروقه دم ابيه . فاشفقي يا مولاتي . اني اطرح نفسي امام قدميك . افعلي بي ما تريدين . أقتليني . أميتيني جوعاً . ولكن بربك إرحمي اسماعيل الصغير ولا تقفلي في وجهه سبل الحياة

سارة — ان اسحق كل شيء . هو ابن الموعد وهو الوريث الوحيد . أفهمت ذلك . فاياك ان تحاولي التأثير على عواطف ابراهيم لتحمليه على الاعتراف بولدك . ان ذلك لن يجديك نفعاً . فحذار حذار . انا سارة . واسحق وحده ابن ابراهيم (تخرج)

هاجر (لنفسها) (تجثو منهوكة القوى)

الهَ إبراهيم العظيم . هل انت سامع ؟ هل ترى عيناك ؟ هل وصل اليك صوت مولاتي . منك اطلبُ المعونة . اليك التجىء في ضعفي فساعدني واحمِ اسماعيل

(يرجع اسماعيل ويرى امه جاثية) فيصيح) —

اماه ! مالي اراك كذلك ؟ مالك تبكين ؟

هاجر — انت هذا يا اسماعيل ؟

اسماعيل — نعم يا اماه فقد ارسلتْ امُّ اسحق أَلياهو فارجعهُ الى المنزل ورجعتُ انا وحدي الى هنا . فما لك على هذا الحال ؟

هاجر — إنَّ بي ألَماً شديداً يا ولدي

اسماعيل — وممَّ ياوالدتي . هل اساعدك على الوصول الى الخيمة ؟

هاجر — لا اني استطيع الوصول وحدي الان . ولكني سأتكل على ذراعك في المستقبل يا حبيبي . اسمع يا اسماعيل . ان في صدري داءً شديداً وانا اخاف عليك . اخاف عَلَى حياتك ومستقبلك يا ولدي

اسماعيل — تخافين عليّ ؟ ولمَ هذا الخوف ؟ انت ترتاحين اليوم من العمل وتشفين من الداء . اما انا فها خنجري الصغير الذي صنعته من خشب السنديان فكم قتلت به ثعالب وافاعي واني سأقتل به كل من يتعدّى عليّ . لا تخافي يا أُماه فانا لا اتركك ووالدي ابراهيم يحبنا . أليس كذلك ؟

هاجر — نعم يحبنا . ولكن هناك شخص اقوى منه يكرهنا . انت الان غلام يا اسماعيل . ولكنك ستصير رجلاً قوياً فاحفظ خنجرك الصغير الى حين الحاجة . انك ستجد في حياتك غداً ثعالب وافاعي اشدّ فتكاً مما تراه اليوم في الحقول . واذا صدقت احلامي فانك ستكون اميراً عظيماً لا في هذا المكان فاننا لا بدّ ان نتركه عاجلاً او آجلاً ولكن في البرّية الواسعة حيث تسود بأسك عَلَى القبائل . هذا ما رأيته في حلمي الليلة الماضية واحلام الام لا بدّ ان تصدق يوماً . فتعال ياحبيبي تعال لاقبلك . قبلني يا اسماعيل الا تحب ان تصير اميراً عظيماً تهابك الفرسان

(لنفسها بألم) ولكن ساره ! مولاتي القاسية ! كفاني ما احتملته منها ! ويلاه . الى اين اذهب . الى اين اسير و كيف اترك ابراهيم : تقع عَلَى الارض

اسماعيل — اماه اماه

هاجر —

يقولون إنّ العدل في الكون حاكمٌ ... اروني اين العدلُ ما بين ذا الورى

شقاءٌ وظلمٌ وامتهانٌ وقسوةٌ ... يرى الله هذا ام ترى الله لا يرى

الفصل الثاني

في غباء ساره

ابراهيم وسارة

ابراهيم — لا استطيع ذلك يا ساره . لا افعل ما تقولين

ساره — بل يجب ان تفعله . ان هاجر يجب ان ترحل من هذا المكان

ابراهيم — واي ذنب جنت حتى نطردها ؟ أليست هاجر جاريتنا الامينة أليست هي امّ اسماعيل ؟

ساره (بغيظ) نعم ام اسماعيل ! عَلَى اني لا استطيع ان اراها بيننا . انا لست بحاجة بعد اليها . أبعدها عن هذا المكان . اعطها ما تريد وارجعها الى بلادها

ابراهيم — أُرجعها الى مصر ؟ ما هذه القساوة يا سارة . كيف تستطيع امرأة مثلها ان ترجع الى تلك البلاد البعيدة . كفى بربك ياسارة . اشفقي عليها . انها امرأة مسكينة وقد طالما خدمتنا بامانة واخلاص . ولا ارى لها ذنباً يستوجب كل ذلك

سارة — بل انا المذنبة . انا التي جلبت هذا الشرّ عَلَى راسي ورأس ولدي اسحق . اصغَ اليّ يا ابراهيم . ان ابن هاجر يجب ان لا ينشأ مع ولدي اسماعيل يجب ان لا يعيش مع اسحق والا ساءت العاقبة علينا . افهمت ؟ انت شيخ متقدم في الايام واسحق لا يزال غلاماً صغير السن فماذا يحل في المنزل اذا متّ و بقي اسماعيل هنا حتى يصبح كبيراً قويّ الساعد . (تقف) انا لا اطيق . لا اطيق ان ارى هاجر هنا مع ولدها تربيه كانه اخ لاسحق

وتغريك عَلَى الاعتراف به ولداً حراً يحقّ له من الارث والكرامة ما يحق لولدي !

ابراهيم — اذن انت تنوين طرد اسماعيل

ساره — وامه ايضاً

ابراهيم — ولكن اسماعيل ولدي وانا احبه . انه غلام جميل الطلعة قويّ البنية وسيكون رجلاً من اشدّ الرجال

ساره — ذلك ما اخشاه ! واسحق الا تحبه اكثر من اسماعيل !

ابراهيم — احبه ولكن حبه لا يمنعني من ان احب اخاه

ساره — اخاه ؟ ياللعار أأنت ايضاً تقول ذلك . أأنت ترضى ان يكون ابن هاجر كابن ساره

ابراهيم — ولماذا هذا الخوف . ان مقام اسحق لا ينكر

سارة — لا تنكره انت الان . ولكن غداً . غداً متى كبر اسماعيل من يضمن لنا ذلك

ابراهيم (يفتكر قليلاً) ارى في كلامك بعض الحقيقة يا ساره ولكنها حقيقة هائلة اني لم افكر بهذا الامر من قبل . ومع ذلك فعواطفي لا تطاوعني عَلَى ابعاد هاجر واسماعيل

سارة — عواطفك ؟ بل عواطف الشيخوخة والضعف . هاجر يجب ان ترحل غداً او بعد غد . ان وجودها علة كدري فانا لن اطيقها هنا . واذا اصررت عَلَى ابقائها فانا ارحل مع ولدي واترك لك ولها هذا المكان

ابراهيم — اشفقي عَلَى عواطفي يا سارة

سارة — بل انت فاشفق عليّ وعلى اسحق

ابراهيم — ان اسماعيل ولدي احبه ولا اطيق طرده من منزلي

سارة — هاها . اذن انت لا تبالي بمستقبل اسحق ولا تهتم بمواعيد الملك . الم يقل لك يهوه انه بنسل اسحق تتبارك امم الارض . فلماذا تحاول ان تسلبه حقه . لماذا تقاوم ارادة الله . أليس اسحق وريثك الشرعي

ابراهيم — بل هو اكثر من ذلك . ولكن اسماعيل ايضاً ولدي

سارة — انه ابن الجارية

ابراهيم — ولكنه ولدي

سارة — بل هو عبد لاسحق وامه أَمَةٌ لي . وحق يهوه لا بدّ من طردهما . انا سارة قد اقسمت على ذلك !

ابراهيم — ويلاه . كيف العمل . ما هذه المصيبة

(يدخل اليعازر)

تعال يا اليعازر ساعدني في حلّ هذا المشكل العظيم . انت وكيل منزلي فلا اخفي عليك شيئاً . ان سارة تلح في طرد هاجر وولدها وتقول ان ذلك افضل لنا اجمعين اما انا فلا ارى ذلك . قلبي يرفض الاقدام على امر كهذا . فما قولك يا اليعازر الامين ما رأيك في هذا الامر

اليعازر (يلتفت الى سارة فيراها تشير اليه)

مولاي اسمع لقول سيدتي سارة انها امرأة حكيمة

ابراهيم — وانت ايضاً عليّ يا اليعازر

اليعازر — انا خادمك يا مولاي . ولكن رأي مولاتي سارة صائب يجب اتباعه . ان اسحق سيكون سيدنا بعد مولاي وذلك لا يتمّ ما دام اسماعيل

في هذا المكان . فارسله مع امه الى اخواله في مصر واكفِ نفسك وسارة هذا العناء

سارة — بورك فيك يا اليعازر من خادم امين

ابراهيم — ومع ذلك ...

سارة — ومع ذلك فانت لا تريد الانفصال عن هاجر واسماعيل . أليس ذلك ما تنوي ان تقول . ليكن ما تريد . ليكن ضعفك سبب الشقاء لنا جميعاً . اما انا فوالله الذي بارك في باسحق . لاقتلنَّها اذا لم تخرج هي وولدها من هذا المكان ! (تخرج بغيظ)

اليعازر — مولاي انت تعلم شدّة مولاتي سارة وانها لا بدَّ ان تفعل ما تريد . فاسمع لها ونجّ هاجر وولدها منها . ابعدهما وعش في منزلك بسلام

ابراهيم — سأبعد هاجر ولكن لا لأعيش بسلام . ان السلام بعيد ن القلوب القاسية . وهذه المهمة المرّة بك انوطها يا اليعازر فاذهب عني الى هاجر . ابلغها سلامي وعواطفي واقنعها بلطف ان تترك هذا المكان . فاذا قبلت اغمرها بالعطايا والمال فاني لا اطيق ان اراها تترك هذا المكان مع (ولدها) وهي فقيرة سيئة الحال

اليعازر — سمعاً وطاعةً مولاي (يخرج)

ابراهيم (لنفسه) اطرد هاجر وافارق اسماعيل ؟ ما هذه الجناية الكبرى ما هذا المصاب الوبيل ؟ ايه يهوه الذي اخرجتني من اور واوصلتني الى هذا المكان الم تعدني باسحق بركة لي وللعالمين . فاني ارى اللعنات بدأت تنسكب على رأسي بسببه . الم اقدّم لك قربان الشكر يوم اتخذت هاجر امرأةً لي ويوم ارسلت لي اسماعيل فقبلته برضي وسرور . فلِمَ تتغاضى عني

الآن · لماذا تسمح لسارة بطردها من هذا المكان
اني لا استطيع مقاومة سارة · فاعفني ايها الاله العظيم على احتمال هذا الخطب الاليم

وداعاً ايا اسماعيل ان فؤادي يذوب اسىً من فرقةٍ و بعادِ
و يا امَّ اسماعيل صبراً اذا غدا غرابٌ علينا بالفراق ينادي
وداعاً وداعاً ليس والله رغبتي بان ترحلا عني وليس مرادي
سألت الهي ان يمنّ عليكما و يهديكما في البعد سبل رشادِ
و يلهمني صبراً على البعد انني ساقضي حياتي فوق شوكٍ قتادِ

الفصل الثالث

اليعازر وهاجر

هاجر — ماذا تقول يا اليعازر ؟ سيدنا ابراهيم يريد ذلك . ابراهيم يطردني ويطرد ولده اسماعيل . اواه . اي ذنب جنينا بل اي ذنب جنى هذا الغلام الصغير . اطردوني بربكم انا وحدي انى احتمل الشقاء والعذاب ولكن اسماعيل لا يقوى على ذلك . انه لا يزال صغيراً فابقوه واطردوني . آه . . . ان رأسي يدور واكاد افقد شعوري . أأترك وحيدي بين يدي مولاتي سارة ؟ لا . لا . معه احيا ومعه اموت !

ولكن قل لي يا اليعازر أأبراهيم امرك بذلك

اليعازر — نعم يا هاجر ولو رأيته حين قال لي ذلك لعلمت مقدار ما يكنه صدره من الآلام والمرارة . انه رقيق الفؤاد ولكن . . .

هاجر — ولكن ضعيف الارادة . وانما هو مسيّر بعواطف امرأته ساره نعم تلك ارادتها واني ساخضع لتلك الارادة الظالمة ولكني ارغب ان ارى سيدي ابراهيم قبل ان اترك هذا المكان واهيم على وجهي في هذه البرية الواسعة

اليعازر — انه لا يستطيع ان يراك

هاجر — ولماذا

اليعازر — لان عواطفه لا تطاوعه على رؤيتكما ترحلان عنه . فهو يفضل ان ترحلا دون ان تراياه

هاجر — عواطفه ! لا تذكر لي هذا الكلام . قل ضعفه . قل

خضوعه لارادة ساره . قل خوفه ولا تقل غواطفه ان العواطف الصادقة لا تكون في قلوب الضعفاء . ومع ذلك فاني احب ان اراه . ايبخل عليَّ بكلمة وداع قبل الرحيل . ايبخل عليَّ بقبلة من يده قبل ان افارقه هذا الفراق الطويل!

اليعازر — قلت لك ذلك مستحيل

هاجر — مهلاً يا اليعازر . انظر الى هذا الغلام . أنسيت يوم كانت مولاتي ساره حانقةً عليك تريد طردك من منزلها . وكنت انا يومئذٍ في حظوة لديها فخلصتك من غضبها وحملتها على الصفح عنك . الا تذكر ذلك . اتجازي المعروف بالسيئة يا اليعازار ؟

اليعازار — نعم اذكر ذلك ولكن ما عساني استطيع ان افعل وانا مقيَّد بارادة مولاتي

هاجر — تستطيع شيئاً واحداً . وهو ان تقول لابراهيم ان هاجر ترغب ان تراك قبل الرحيل . قل له اني اغفر له ولكنني لن ابرح هذا المكان قبل ان اتزوَّد منه بنظرة اخيرة . قل له ان ولده اسماعيل يحب ان يقبل يد ابيه قبل ان يترك منزله وحماه . هذا كل ما اطلبه يا اليعازر فهل تبخل عليَّ به

اليعازر — (يتأمل) حسناً سافعل ما ترومين . ولكن كيفما كان فلا امل لك بعد في البقاء هنا . فاستعدي للرحيل . وقد امرتني مولاتي ان اهبك هذا الكيس من المال لتستعيني به عَلَى قضاء حاجاتك

هاجر — هذا المال ارجعه لاربابه . انا لست بحاجة الى مال تجود به عليَّ يد قاسية . اني ساستعدّ للرحيل ومتى خرجت من هذا المكان اخرج بشرفي وامانتي وحبي واترك لمولاتي مالها وغناها

(يخرج اليعازر) ليساعدك يهوه ايتها الامرأة المسكينة

هاجر تلتفت الى اسماعيل وكان يلهو بعمل خنجر من خشب — اسمعت يا اسماعيل · اننا سنترك هذا المكان ونرحل الى بلاد بعيدة · سوف نعيش في البرية بين الثعالب والذئاب · هناك نقضي حياتنا وهناك نعيش احراراً

اسماعيل — نترك هذا المكان ولماذا يا اماه · لماذا نذهب الى ثعالب البرية وذئابها

هاجر — لان الوحوش ارأف بنا من الانسان · هل انت خائف من الوحوش ياولدي

اسماعيل — كلا يا اماه · أليس خنجري معي · اني ساقتلها وساعمل قوساً فاصيد الطيور ولكن هل يطول ابتعادنا عن والدي ابراهيم

هاجر — نعم يا ولدي يطول جداً (تبكي)

اسماعيل — اماه مالك تبكين · ممَّ تخافين ؟ اني عما قليل اصير رجلاً وسأبني لك منزلاً جميلاً فنعيش فيه كما يعيش والدي ومولاتي ساره · هوذا والدي

يدخل ابراهيم — هاجر !

هاجر — مولاي

ابراهيم — ليس بارادتي يا هاجر · ليس بارادتي هذا الرحيل (يدنو)

هاجر — قف بعيداً يامولاي لا تدنُ مني · ان ذلك يسوء امرأتك وينغص عيشك · نعم ليس بارادتك هذا الرحيل · ومع ذلك فانت تتركني وتترك ولدك نموت وحيدين في البرية

ابراهيم — ان يهوه لن يتركنا

هاجر — يهوه ! الهك واله ساره ! ما ارحم هذا الاله · مولاي · اني

سارحل عنك انا واسماعيل . نعم سنخرج مطرودين من المنزل الذي كنا فيه معاً نتمتع ببركات الحياة . اواه . كنت انظر اليك كما ينظر العابد الى المعبود . كنت ارى الدنيا جميعها فيك . وها انت الان تطردني وتطرد ولدك ولاذنب لنا ! ولاجل كلمة من مولاتي تنسى هذا الصدر الذي طالما حمل همومك وعزاك في بلواك . مولاي . انا لا اطلب منك ان تبقينا فعيشة الصحراء خير من السكن بعد الان في منزلك ولكن هي عواطف المرأة المحبة الأمة الصادقة — الخادمة الامينة فوداعاً يا مولاي . اني بالرغم عما لقيته منك ومن مولاتي ساره سأبقي لك في (فؤادي) تذكاراً مقدساً ينزل معي الى القبر . نعم سأحيي ذكرك في نفسي وسأعلّم اسماعيل ان يقدّس ذكر ابيه . ولكن سأعلمه ايضاً ان يكون ابن الصحراء ابن البرية . سأربيه حتى يكون كابيه اميراً (بين قومه) تهابه القبائل وترتعد امامه الابطال

(ابراهيم يبكي) ليبارك الله يا هاجر وليبارك ولدي اسماعيل

هاجر — لا تبكِ يا مولاي . ان البكاء لا يليق بالرجال اذهب الى امرأتك ساره وقل لها ان هاجر راحلة عنك هي واسماعيل . هي يا مولاي تطردني الى الصحراء . والى الصحراء اذهب حيث سالقي بين رمالها الحرية والهناء

ابراهيم — بربك هاجر لا تزيديني هموماً . فاغفري لي ولها وارثي لهذا الشيخ الذي كان ولا يزال يحترمك ويكرمك . اني بالرغم عني رضيت بابعادك عني ولكن ذلك افضل لك ولولدك لو تعلمين

هاجر — ربما كان ذلك . واني ارثي لك انك في قبضة مولاتي شارة . انها لا تحبك يا مولاي . اتركها واترك لها اسحق والعبيد والاموال . وتعال

معي الى البرية هناك اقيم لك مذبحاً اعبدك فيه انا واسماعيل هناك نعيش احراراً بعيدين عن هموم الحياة

ابراهيم — كلا كلا . اني لن اترك سارة واسحق . تلك ارادة يهوه ان اكون لها

هاجر — يهوه الهك ! ما اقسى هذا الاله . اتركه وتعال معي الى مصر فنعبد هناك آلهة ارحم منه . ان الهك يأمرك بهجري يا ابراهيم . الهك يأمرك بترك اسماعيل اذن ما هذا الاله الغريب . (انه اظلم من البشر واشدّ عتواً من الجبابرة) . أمثلك يعبده يامولاي اهجره واترك ساره لعنايته . ان قلبه كقلبها اما انت فخاشاك ان تكون مثلهما . تعال يا مولاي . تعال الى حيث الهتنا تأمرنا بالحب والرحمة واترك الهة سارة انها الهة الظلم والطمع والقساوة

ابراهيم — لا يا هاجر . انت تجدّفين على رب السماء والارض . ان مرارة نفسك شديدة ولكن عهدي بك شديدة الصبر . فوداعاً (يبكي) وداعاً يا اسماعيل (يرجع اسماعيل الى الوراء)

الا تصافحني يا ولدي . تعال ياحبيبي قبّل اباك

اسماعيل — كلا انت لست والدي . ان والدي لن يطردني من منزله . تعالي يا اماه غداً اصير رجلاً فاجعلك اميرة غنية كمولاك

ابراهيم — عسى ذلك يا بني . وانتِ يا هاجر الا تخففين عذاب نفسي بقبولك بعض المال مني

هاجر — ليتني استطيع تخفيف عذابك . ولكن منك لن اقبل مالاً . المال والحلى والهدايا الفاخرة اتركها لسيدتي ساره . تلك احق مني بذلك .

اما انا فيكفيني منك اسماعيل · يكفيني هذا التذكار الذي ساحافظ عليه الى آخر نسمة من حياتي · فوداعاً وداعاً ايها المعبود القاسي · اني ساستقبل مع ولدك الصحراء بوجه بسام · وساستقبل فيها الحرية والسلام · تعال يا اسماعيل هيا بنا (يخرجان)

ابراهيم — هاجر هاجر! اوّاه ذهبت ولن تعود · تلك ارادة سارة · تلك عاقبة الغيرة · اسماعيل لن اراه ! ويلاه · ويلاه

ويلاه ما هذا البلاء لا صبر يجدى او عزاء
غداً ساقضي · انما اقضي بحزن وشقاء
ومصيبتي ضعفي وما القاه من بأس النساء

الفصل الرابع

في البرية

هاجر واسماعيل

اسماعيل — (يصيح من عطشه)

آه امي انا عطشان فهل جرعة تطفي لهيباً في الجنان
في حشاي لهب يكوي وما لي صبر بعد يا امي «أمان!»

هاجر —

ولدي مهلاً فان الله لا بدّ ان يرسل للعطشان ماء
نم ايا اسماعيل يا روحي على ركبتي واصبر ففي الصبر شفاء

اسماعيل —

كاس ماء ارحميني ليس لي بعدُ صبرٌ فهنا اقضي شهيد
بين هذا الرمل في وسط الفلا آه ماذا انا راءٍ من بعيد
وهو يهذي من حمى العطش
انظري اسحق يا امي عَلَى النبع م مع ليعازر قرب الصخور
انظري الاشجار في المرج وفي ظلها اسمع تغريد الطيور

..

انظري الاغنام ترعى انظري والدي أبراهيم يبكي وينوح
انما سارة يا امي ارى غيظها متقداً وهي تصيح

يا اخي اسحق اسرع فانا كدت اقضي انما عيني تراك
كاس ماء هات لي واطفيء لظىً في الحشا متقداً وارحم اخاك

هاجر — حبيبي اسماعيل ! ويلاه ان العطش يكاد يهلكه . آه يا الهي ايموت اسماعيل بين يدي . يا الهة مصر العظيمة . يا اله ابراهيم يهوه . اجيبوني ارحموا ولدي

اسماعيل — اماه . اماه . النار في صدري . النار في رأسي . النار في حلقي . اليَّ اليَّ

هاجر — ايتها الالهة ايموت اسماعيل وفيَّ رمق حياة . اني ساجوب هذه البرية طولها وعرضها فاما ان نموت معاً او آتي ولدي بما يرويه (تقوم منتفضة)

اسماعيل — اليَّ اليَّ . اماه . النار النار . ادركيني بجرعة ماء . ماء

هاجر — حبيبي اسماعيل . آه يا ربي . انه يموت . ويل لكِ يا سارة ويل لك يا ابراهيم يموت اسماعيل بين الرمال وانتما تعيشان برخاء وسلام .

.

.. .

(تقرب منه) ويلاه انه على آخر رمق · اذن فلا مَتْ معه · لامت ههنا مع اسماعيل (ترمي بنفسها عليه)

***

بدوي مسافر على جمل — ماذا ارى · امرأة وابنها نائمين

هاجر — (تلتفت اليه) · سيدي ايا كنت · بربك ارحم ولدي انه يكاد يموت من عطشه · اعطنا ماء فنصير لك عبيداً

البدوي — اطمئني ايتها الامرأة — ان ولدك لن يموت · دونك هذه القربة · فيها قليل من الماء فاسقي الغلام

هاجر — الشكر لك يا سيدي · (الى اسماعيل) اسماعيل اسماعيل · حبيبي · انهض · هوذا الماء (تضعه عَلَى شفتيه)

اسماعيل — (يشرب) اين انا · واين والدي ابراهيم واسحق · اني كنت اتكلم معهما الان وكان بيد والدي قربة ماء فصرخت اليه وقلت اسقني اسقني ياوالدي فمدّ يده اليه بالقربة ولكنها سقطت من يده وشربها التراب قبل ان تصل اليّ · فمن اين هذا الماء يا اماه · آه ما اطيبه !

هاجر — (لنفسها) انه كان يحلم بابيه واخيه (الى اسماعيل) انظر الى هذا الرجل الكريم ياولدي — هو الذي انعم علينا بالماء · انظر اليه واشكره عَلَى احسانه

البدوي — اريحي الغلام من عناء الكلام الان · فهو لا يزال مضطرباً ان ولدك هذا سيكون بمثابة ولدي وانا كبير في قبيلتي جرهم كثير المال وما مروري في هذا المكان الا لان الاله الاكبر يرعاك ويرعى غلامك · انظري الى هذه الجهة هل ترين شيئاً ؟ هاجر — ارى ركباً يقتربون منا

البدوي — نعم هي القافلة التي تصحبني - جمال وخيل وغلمان كلهم لي ويحملون متاجر والدي اما انا فقد سبقتهم قليلاً أرود الطريق الى ماء قريب منا يقصده الركاب في هذه الصحراء فساقتني قدمي اليك لانقذك وانقذ غلامكِ · فهيا نسافر معاً لا تجزعي ولا تظني سوءاً واني اقسم برب الكائنات اني ساوصلك سالمة الى ربعي واعتني بغلامك حتى ييسر لك الله ما ترومين

هاجر — ان جودك واباءك وشهامتك قد انستني مصيبتي · وما اقرأه في عينيك يحملني على الثقة بك · فها انا بين يديك · اني أمة · وليس لي في هذا الوجود الا هذا الغلام فلاجله ساقضي بقية عمري ولاجله ساحيا واموت

البدوي — ليكن لك ما تريدين · ان جمالك قد ملك قلبي ولكني حرّة وجدتك وحرّة ستبقين عندنا ما اردت · فهلمي بنا — هات يدك يا اسماعيل — (الى هاجر) امات والده ؟

هاجر — لا

البدوي — حيّ ويتركه في هذا القفر

هاجر — والده امير عظيم

البدوي — ومن هو ؟ من والدك ايها الغلام الجميل

اسماعيل — والدي ابراهيم

البدوي — ابراهيم بن تارح

هاجر — نعم

البدوي — اذن فسيكون لهذا الغلام شأن عظيم ولمَ تركتما ابراهيم؟

هاجر — قصتي طويلة ساقصها عليك · اما غلامي فكما قلت ان شأنه

سيكون عظيماً . فقد رأيت ملاك الرب مرة يظهر في الحلم لابراهيم وسمعته يقول له — ان اسماعيل سيكون امة عظيمة وسيقوم من نسله رجل يخرج من الصحراء فيخضع الممالك ويهدم العروش فيمتد سلطانه شرقاً وغرباً ويعزّ جانبه في كل مكان . واني يا سيدي على هذا الرجاء اعيش ولاجل هذه الغاية سافضي حياتي في خدمة ولدي

البدوي — ولاجل هذه الغاية ساعتني بك وبه . فان عرّاف قبيلتنا تنبأ لي قائلاً : سيكون لك شأن بين العرب سيقوم على يديك امير عظيم . ومن يدري فلعل ابنك هو ذاك الامير فهلمي بنا — هلمي الى المجد — يا ام اسماعيل

ما بعد الموت

من حديث جرى بين احد الكتبة والدكتور فُرزدِك الواعظ الاميركي [1]

قال الكاتب رأيت مركبة محملة حملاً ثقيلاً انقلبت فوق رجل فحسبت انها قضت عليه . ولما رُفعت عنه وُجد حياً سليماً لانه اتفق ان كان الى جانبه حجر كبير استندت المركبة عليه فبقيت مرتفعة عن الرجل نحو اصبع فقلت له اخبرني بماذا كنت تفكر حينما رأيت المركبة فوقك ويحتمل في كل لحظة ان ينكسر هذا الحجر او يزيح من مكانه فتخطف انفاسك . هل خفت وهل خطر لك انك ستقف بعد قليل امام الله وتسأل عن اعمالك

فقال كلا لم يخطر ببالي شيء من ذلك ولا انا ممن تخطر ببالهم هذه المواضيع بل كنت اقول في نفسي لا بد من ان تصل المركبة اليَّ بعد قليل واموت ميتة كلب ولا حيلة في اليد

ورأيت مرة اخرى كهلاً في احد المستشفيات مصاباً بذات الرئة والطبيب والممرضة واقفان الى جانب سريره وهما ينتظران من لحظة الى اخرى ان يلفظ النفَس الاخير لكن الخطر زال وشفي . فكلمته في هذا الموضوع وقلت له ان الطبيب قطع الرجاء منك واظنك عرفت ذلك فكيف شعرت وانت على حافة الابدية . فقال لم اشعر الا بانني كنت في اشد التعب واتمنى ان انام واستريح . فقلت له اكان الموت والحياة سيين عندك فقال كنت افضل الموت لينقذني من التعب

---

(١) من كتاب رسائل الارواح انظر التقاريظ في هذا الجزء

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

المقدسي، انيس
هاجر
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037528

CA
892.78
M23hA
c.1